العوامل التي أسهمت في ازدهار الحركة العلمية في العصر الأموي

د/ فهد بن سعد الحسين

أستاذ التربية الإسلامية المشارك، كلية التربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

البريد الالكتروني: fh6677@Gmail.Com

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على العوامل التي أسهمت في ازدهار الحركة العلمية في العصر الأموي من خلال معرفة أهمية هذا العصر، ومن ثم تتبع هذه العوامل. وحيث أن موضوع هذه الدراسة يرتبط بمرحلة تاريخية ماضية فقد تم فيها استخدام المنهج التاريخي. وفيما يتعلق بنتائج الدراسة فقد أوضحت الدراسة أن أهمية العصر الأموي في التربية الإسلامية تكمن في قربه من العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، ودخول هذا العصر في القرون المفضلة التي أشاد بها النبي صلى الله عليه وسلم، وتوافر الصحابة الكرام في هذا العصر. وأما العوامل التي أسهمت في ازدهار الحركة العلمية في هذا العصر، فقد بينت الدراسة بأن أهم هذه العوامل هي: – مكانة العلم والعلماء في الدين الإسلامي. – تشرف هذا العصر بعلماء الصحابة وكبار التابعين. – اتساع الدولة الإسلامية. – المدارس العلمية للصحابة. – إتاحة طلب العلم والبروز فيه لكل أفراد المجتمع. – مشاركة الخلفاء والأمراء في الحياة العلمية. – تكريم الخلفاء والأمراء للعلماء وتقريبهم. – مكانة العلماء وتقديرهم في المجتمع. – تشجيع الصحابة لطلابهم على التصدر العلمي. – ترفع العلماء وسمو أنفسهم. – وجود الشخصيات الموسوعية والتخصصية من العلماء.

الكلمات المفتاحية: الحركة العلمية، مكانة العلم والعلماء، الصحابة والتابعين، الشخصيات الموسوعية، العصر الأموي.

ABSTRACT

This study aimed to identify the factors that contributed to the flourishing of the scientific movement in the Umayyad era by identifying the importance of this era. and then tracking these factors. Since the subject of this study is related to a past historical stage. the historical method was used. The results of the study showed that the importance of the Umayyad era in Islamic education lies in its proximity to the Prophet's era and the era of the Rightly Guided Caliphs. Furthermore. the entry of this era into the preferred centuries that the Prophet. Peace Be Upon Him. praised is another reason. and the availability of honorable companions in this era. As for the factors that contributed to the flourishing of the scientific movement in this era. the study showed that the most important of these factors are: the status of science and scientists in the Islamic religion. This era was honored by the following: scholars of the companions and the great followers; the expansion of the Islamic state; the appearance of scientific schools of the companions; allowing all members of the community to seek knowledge and become visible in it; participation of the caliphs and princes in the scientific life; honoring the Caliphs and Emirs of the scholars and bringing them closer; the status and appreciation of scientists in society; encouraging the companions of their students to be on the scientific front; raise the scholars and elevate themselves; and the presence of encyclopedic and specialized figures of scholars.

Keywords: Scientific Movement. The Status of Science and Scholars. The Companions and Followers. Encyclopedic Figures. the Umayyad Era.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فإن تاريخ التربية الإسلامية تاريخ حافل بالعصور المزدهرة التي تبوأت فيها الحضارة الإسلامية قمة الحضارة الإنسانية فكانت منارة علم وتقدم للبشرية جميعا. ومن أبرز ملامح الحضارة الإسلامية الحركة العلمية الدؤوبة في جميع عصور هذه الحضارة وبصورة تسترعي الانتباه مما يؤكد على أهمية دراسة الحراك العلمي في جميع هذه العصور.

وعند دراسة الحركة العلمية في عصور الحضارة الإسلامية تبرز أهمية التعرف على العوامل التي كان لها دورها في إحداث هذا الحراك. ولا شك أن لكل عصر من العصور ظروفه الخاصة التي ارتبطت به بشكل عام وبالجانب العلمي على وجه الخصوص مما يتطلب معه أهمية دراسة هذه العوامل في كل عصرٍ على حده للتعرف بشكل دقيق على دور هذه العوامل على الحركة العلمية في هذا العصر.

موضوع الدراسة:

العصر الأموي هو أول العصور الإسلامية بعد عصر النبوة والخلفاء الراشدين، ويعد العصر الأموي من العصور التي تميزت بالحراك العلمي في الميادين التعليمية المتنوعة والتي لم يتوقف أثرها على تميز الحركة العلمية في عصرها فقط وإنما كانت منطلقًا للنهضة العلمية في العصور التي تلته حيث إن «المنجزات التي تمت في عهد الأمويين وضعت أساسًا متينًا لازدهار التعليم وتطوره ظهر وبرز في العصور التي تلته» (الوافي،1428ه ص4)

ولا شك أن هذا الحراك العلمي في العصر الأموي نتج بسبب عدد من العوامل التي ارتبطت بهذا العصر وكان لها أثرها الواضح عليه. وعليه فقد كان اختيار موضوع الدراسة متعلقًا بمعرفة العوامل التي أسهمت في ازدهار الحركة العلمية في العصر الأموي.

أسئلة الدراسة:

أجابت هذه الدراسة عن السؤال الرئيس التالي:

– ما العوامل التي أسهمت في ازدهار الحركة العلمية في العصر الأموي؟

وذلك من خلال الإجابة عن السؤالين الفرعيين التاليين:

– ما الأهمية التي يمثلها العصر الأموي في التربية الإسلامية؟

– ما أبرز العوامل التي أسهمت في ازدهار الحركة العلمية في العصر الأموي؟

أهداف الدراسة:

هدف الدراسة الرئيس هو:

– التعرف على العوامل التي أسهمت في ازدهار الحركة العلمية في العصر الأموي.

وقد تم ذلك من خلال تحقيق الهدفين التاليين:

– توضيح الأهمية التي يمثلها العصر الأموي في التربية الإسلامية.

– تحديد أبرز العوامل التي أسهمت في ازدهار الحركة العلمية في العصر الأموي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

1 – ما يمكن أن تسهم به هذه الدراسة في إبراز الحركة العلمية في أحد العصور الإسلامية وهو العصر الأموي.

2 – ما تبرزه هذه الدراسة من الأدوار المجتمعية المتكاملة التي أسهمت في هذه الحركة العلمية وإمكانية الإفادة منها وتفعيلها في عصرنا الحاضر.

3 – ما يؤمل أن تقدمه هذه الدراسة للمكتبة التربوية في تاريخ التربية الإسلامية.

حدود الدراسة:

ارتبطت هذه الدراسة بالتعرف على العوامل التي أدت إلى الحراك العلمي في العصر الأموي (41 – 132هـ). وقد ركزت الدراسة في شواهد هذا العصر على كتاب سير

أعلام النبلاء للذهبي في الأجزاء: 2،3،4،5 حيث يعد هذا الكتاب من أجمع كتاب التراجم، بالإضافة إلى شواهد أخرى من كتب متفرقة.

منهج الدراسة

نظرا لطبيعة الدراسة وارتباطها بمرحلة تاريخية ماضية، فقد تم في هذه الدراسة استخدام المنهج التاريخي الذي يتناسب مع طبيعة الدراسة ويحقق أهدافها.

الدراسات السابقة:

وقف الباحث على عدد من الدراسات المرتبطة بموضوع الدراسة وهي:

- دراسة الهلابي، (1993م): الحركة العلمية بمكة في العصر الأموي (1)
- دراسة الهلابي، (1994م): الحركة العلمية بمكة في العصر الأموي (2)

وهو بحث واحد مقسوم إلى جزئين تتبع فيه الباحث الحركة العلمية بمكة في العصر الأموي وإسهامات العلماء فيها والمراحل التي مرت بها.

وخلص الباحث إلى أن الحركة العلمية بمكة في هذا العصر مرت بثلاث مراحل، الأولى تمثل بداية الحركة العلمية وكانت متواضعة جدًا، ثم المرحلة الثانية التي بدأت بمجيء ابن عباس إلى مكة واستقراره فيها، حيث نشر علمًا كثيرًا وكثر طلاب العلم، وتوسعت العلوم نسبيًا، وتعمق الدارسون في هذه العلوم. أما المرحلة الثالثة فقد تميزت بأمرين، كثرة الطلاب كثرة لافتة للانتباه، ووجود مدرستين إحداهما تركز على الدراسات القرآنية، والأخرى كان تركيزها على الدراسات الفقهية والحديث.

- دراسة الكيلاني (1995م): مسيرة التعليم الإسلامي في الجامع الأموي خلال العصر الأموي.

وهي دراسة علمية هدفت إلى التعرف على طبيعة مسيرة التعليم الإسلامي في الجامع الأموي ومدى ملاءمة الجامع لهذا المسيرة.

وتناول الباحث في هذه الرسالة الأصول التاريخية للجامع، وأهداف ومبادئ التعليم فيه، والمواضيع التي درست فيه وطرق التدريس المستخدمة، ثم بين الباحث أثار هذا الجامع في المجالين الإسلامي والإنساني.

وأبرز نتائج هذه الدراسة أن الجامع الأموي احتضن مسيرة تعليم إسلامي فاعل ذات أهداف محددة ومبادئ معينة كان لها أثار واسعة المدى على الصعيدين الإسلامي والعالمي.

– دراسة سمية الوافي (1428هـ): التعليم في الشام في العصر الأموي

وهي رسالة علمية هدفت إلى التعرف على أبرز ملامح النظام التعليمي في الشام في العصر الأموي مستخدمة المنهج التاريخي.

وتناولت الباحثة الأوضاع العامة وتأثيرها على الحركة العلمية، والمؤسسات التعليمية، وطرق التدريس، والعلوم التي تدرس، وتمويل التعليم في الشام في العصر الأموي.

وقد توصلت الباحثة إلى عدد من النتائج من أبرزها أن الطابع الديني هو الطابع الذي امتاز به التعليم في الشام في العصر الأموي، وأن القرآن الكريم كان هو المحور الذي نشأت حوله أكثر العلوم، وأن المنجزات التي تمت في عهد الأمويين وضعت أساسًا متينًا لازدهار التعليم وتطوره ظهر وبرز في العصور التي تلته.

ويلحظ في الدراسات السابقة أنها ارتبطت بالتعليم في العصر الأموي في أماكن محددة دون أن يكون لها طابع الشمولية في جميع البلدان الإسلامية في هذا العصر، بالإضافة إلى أن هذه الدراسات تناولت التعليم بشكل عام في هذا العصر في حين ركزت الدراسة الحالية على استخلاص العوامل التي أسهمت في ازدهار الحركة العلمية في العصر الأموي.

المبحث الأول: أهمية العصر الأموي في التربية الإسلامية

يبدأ العصر الأموي من العام 41 من الهجرة النبوية ويمتد حتى العام 132 من الهجرة النبوية. ولهذا العصر من عمر الأمة الإسلامية أهميته الخاصة التي تميزه عن سائر العصور التي تلته. ويمكن الوقوف على أهمية العصر الأموي من خلال النقاط التالية:

1 – قرب هذا العصر من العهد النبوي الشريف

فهذا العصر قريب من ذلك النبع الصافي والمعين العذب، حيث لم يمض على انتقال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام للرفيق الأعلى سوى ثلاثين عاماً وهو الذي بعثه الله

رحمة للعالمين وأتم به النعمة وأكمل به الدين وما زالت الأمة المسلمة في هذا الوقت تسعد بالشرب من ورده العذب الزلال، وتترسم آثاره، وتقتدي به عليه الصلاة والسلام.

ولا يفصل هذا العصر عن عهد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم سوى عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين، وهو أزهى عصور الأمة بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن لهذه الخصيصة دورها في تميز هذا العصر وازدهاره في جميع الجوانب وعلى رأسها الجانب العلمي.

2 – دخول هذا العصر في خير القرون التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم

يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق عليه: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» (البخاري،1417ه،ص747،ح3650) (مسلم،1419ه، ص1023، ح2533)، وقد ورد في رواية أخرى بلفظ «خير الناس» (البخاري،1417ه، ص747، ح3651). يقول النووي: «والصحيح أن قرنه صلى الله عليه وسلم الصحابة والثاني التابعون والثالث تابعوهم» (النووي، 1418ه، ج16، ص302)، أي أن المقصود بالقرن هنا هو فئة محددة بعينها فالقرن الأول هم الصحابة رضوان الله عليهم، والقرن الثاني هم التابعون رحمهم الله، والقرن الثالث هم تابعوا التابعين رحمهم الله. وإذا نظرنا إلى جميع من أدرك من المسلمين في هذا العصر ممن ولد قبل دخوله أو ولد فيه فإنهم جميعا داخلون في أحد هذه القرون الثلاثة الصحابة أو التابعين أو تابعيهم.

وما سبق يوضح هذا الجانب من حيث الأفراد الذين عاشوا في هذا العصر، أما عند النظر إلى العصر من الناحية التاريخية والسنوات التي يمثلها هذا العصر فهي لا تخرج عن القرنين الأول والثاني، فقد قدر ابن حجر نهاية القرن الأول والذي ينتهي بآخر من مات من الصحابة رضوان الله عليهم بين عامي 90 و100ه، وأما نهاية القرن الثاني الذي ينتهي بآخر عصر التابعين فقد قدره من العام 170 – 180 تقريباً (ابن حجر،1418ه،ج7،ص6)

وعلى هذا فإن العصر الأموي يأتي في تاريخ الأمة الإسلامية في مرحلة مباركة شهد لها خير الخلق صلى الله عليه وسلم بالخيرية والتفضيل، ولاشك أن هذه الخيرية لها أثرها وانعكاسها على الجانب العلمي والتعليمي في هذا العصر.

3 – توافر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا العصر

ومما يميز هذا العصر وجود خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين وهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريوه وأنصار دينه تلك الفئة المؤمنة التي اصطفاها الله وشرفها بصحبه رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ونصرة دينه العظيم ثم حمله وتبليغه للعالمين.

والحديث عن فضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يطول ولكن يكفي أن يذكر في ذلك حديث واحد يبين أثر وجود الصحابة على الأمة المسلمة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» (مسلم،1419ه، ص1022،ح2531). وهذا الحديث يبين أثر الصحابة

وخيرهم الذي يعود على الأمة ما بقوا فيها يوضح بجلاء أهمية هذا العصر الذي تشرف بوجود صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فترة مديدة منه تزيد على ثلثيه.

وقد نقل ابن حجر أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة كلهم قد روى عنهم سماعًا أو رؤية فكيف بمن لم يرو عنه (ابن حجر، 1415ه، ج1، ص154) وبالتالي فإن عددًا كبيرًا من هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم قد أدرك هذا العصر الذي نتحدث عنه وكان لهم أثرهم الكبير فيه.

أما اصطفاء الصحابة واختيارهم لصحبة النبي صلى الله عليه وسلم وعظيم مكانتهم ودورهم فيصفه لنا الصحابي الجليل عبدالله ابن عمر رضي عنهما بقوله: «من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الأمة وأبرها قلوبًا وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على الهدي المستقيم (أبو نعيم،1409ه،ج1، ص305)

المبحث الثاني: أبرز العوامل التي أسهمت في ازدهار الحركة العلمية في العصر الأموي

هناك عوامل متعددة أسهمت في ازدهار الحركة العلمية في العصر الأموي يمكن تتبعها من خلال دراسة هذا العصر من خلال الوقوف مع الظروف المرتبطة بهذا العصر، ومن خلال شخصيات هذا العصر وجهودهم العلمية المسطرة في كتب التراجم والتاريخ والباعث لهم على هذه الجهود.

ويمكن تحديد أبرز العوامل التي أسهمت في ازدهار الحركة العلمية في هذا العصر فيما يلي:

أولًا: مكانة العلم والعلماء في الدين الإسلامي

ومع أن هذا العامل لا يختص بهذا العصر دون غيره من العصور الإسلامية إلا أنه يبرز بشكل أكبر في هذا العصر القريب من عهد النبوة والخلافة الراشدة. فمما لا ريب فيه أن للعلم في الدين الإسلامي وعند الأمة المسلمة مكانة خاصة ليست لدين سواه، ولا لأمة غيره، ذلك أن آيات الكتاب الكريم وأحاديث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم زخرت بالعديد جداً من الآيات والأحاديث التي تحث على طلب العلم وتعلي من شأن حملته وتبوؤهم الدرجات العلى في الدنيا والآخرة. ويكفي دلالة على هذا أن أول ما نزل من كتاب الله الكريم قوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق: 1 – 5).

وتتجلى مكانة العلماء فيما أكرمهم الله تعالى به من منزلة عالية في قوله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة: 11)، وفي إشراكه سبحانه وتعالى للعلماء في الشهادة له بالوحدانية معه جل وعلا ومع ملائكته في قوله تعالى ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ (آل عمران: 18).

وقد وصف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم العلماء بأنهم ورثة الأنبياء وذكر لهم من الحظوة والمنزلة عند الله ما ليس لغيرهم، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع

أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر" (أبو داود، د.ت، ج3، ص317،ح3641)

ولم يقف التوجيه الإسلامي إلى الحث على طلب العلم وتشجيع أهله ورفع منزلتهم بحيث يكون طلب العلم أمراً اختياراً يقوم به من أراده ويمتنع عنه من لا رغبة له فيه، وإنما جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ينتمي إلى هذا الدين الحنيف حيث قال النبي صلى الله عليه وسل: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (ابن ماجة،1420ه، ص34، ح224)

ولا شك أن لهذه الأوامر الكريمة بطلب العلم والحث عليه وما أعده الله تعالى للعلماء من الأجور العظيمة وما خصهم به من المنزلة العالية عنده وما يراد منهم من دور عظيم في حياة الأمة المسلمة الأثر الكبير في الإقبال الشديد والتسابق والتشمير في طلب العلم، والإسهام الواضح الجلي في ميادين العلم والتعليم من الأمة على كافة فئاتها وطبقاتها أفراداً وجماعات، صغاراً وكباراً، عامة وخاصة، رجالاً ونساء.

وفي هذه العصر نلمس ناتجاً ضخماً لهذا التوجيه الإسلامي المبارك يتجلى في حركة علمية كبيرة كان لها أثرها ليس فقط على عصرها وإنما على جميع العصور التي مرت بها الأمة الإسلامية وما زلنا حتى يومنا هذا نأكل من جناها ونقطف من ثمارها ونستفيد علمًا غزيرًا مما خلفه علماؤنا الأجلاء في ذلك العصر المبارك.

ثانيا: تشرف هذا العصر بعلماء الصحابة وكبار التابعين

لقد كان لتوافر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا العصر أثر كبير على الحياة العلمية وازدهارها، إضافة إلى أنه قد أدرك عدد كبير من علماء الصحابة هذا العصر وكان لهم مشاركتهم الفاعلة فيه.

ويمكن إدراك الأثر العظيم لصحابة رسول الله صلى الله عليهم وسلم في إثراء الحركة العلمية ونشر العلم الشرعي في هذا العصر في أن أكثر الصحابة رواية للحديث

والذين روى كل واحد منهم أكثر من ألف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قد أدركوا جميعًا جزءًا من هذا العصر وهم:

1 – أبو هريرة رضي الله عنه (ت58هـ) وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم 5374 حديثًا.

2 – عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (ت73هـ) وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم 2630 حديثًا.

3 – أنس بن مالك رضي الله رضي الله عنه (ت93هـ) وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم 2286 حديثًا.

4 – عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما (ت57هـ) وقد روت عن النبي صلى الله عليه وسلم 2210 حديثًا.

5 – عبدالله بن عباس رضي الله عنهما (ت68هـ) وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم 1660 حديثًا.

6 – جابر بن عبدالله رضي الله عنهما (ت78هـ) وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم 1540 حديثًا.

7 – أبو سعيد الخدري رضي الله عنه (ت74هـ) وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم 1170 حديثًا.

(ابن الجوزي، 1997م، ص263)

ولا شك أن تشرف هذا العصر بهؤلاء الصحابة يجلي دورهم رضوان الله عليهم في تعليم الحديث النبوي ونشره، بل ونشر وتعليم العلم الشرعي بصفة عامة في العصر الأموي.

كذلك فإن أكثر الصحابة فتوى سبعة وهم:

– عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت32هـ)

– علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت40هـ)

– عبدالله بن مسعود رضي الله عنه (ت32هـ).

– عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (ت73هـ).

– عبدالله بن عباس رضي الله عنهما (ت68هـ).

– زيد بن ثابت رضي الله عنه (ت51هـ).

– عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما (ت57هـ).

وهؤلاء الصحابة الكرام أتوا في هذه المنزلة بما قدموه من فتاوى بحيث أنه يمكن أن يجمع من فتاوى كل واحد منهم مجلد ضخم (ابن حجر، 1415ه،ج1، ص166)، وأكثر من نصف هؤلاء الصحب الكرام تشرف هذا العصر بمشاركتهم في الناحية العلمية فيه ونشر علمهم الجم وفتاواهم الغزيرة.

كما أنه يأتي في المرتبة الثانية بعد الطبقة السابقة عشرون صحابياً يأتون بعدهم من حيث عدد الفتاوى وهم:

– أبو بكر الصديق رضي الله عنه (ت13هـ).

– عثمان بن عفان رضي عنه (ت35).

– أبو موسى الأشعري رضي الله عنه (ت44هـ).

– معاذ بن جبل رضي الله عنه (ت18هـ).

– سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (ت55هـ)

– أبو هريرة رضي الله عنه (ت58هـ).

– أنس بن مالك رضي الله عنه (ت93).

– عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (ت65هـ).

– سلمان الفارسي رضي الله عنه (ت35هـ).

– جابر بن عبدالله رضي الله عنهما (ت78هـ).

– أبو سعيد الخدري رضي الله عنه (ت74هـ).

– طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه (ت36هـ).

- الزبير بن العوام رضي الله عنه (ت36هـ).
- عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه (ت32هـ)
- عمران بن حصين رضي الله عنه (ت52).
- أبو بكرة رضي الله عنه (ت52 هـ).
- عبادة بن الصامت رضي الله عنه (ت45هـ).
- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما (ت 60هـ).
- عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما (ت73هـ).

وهؤلاء الصحابة الكرام يمكن أن يجمع من فتاوى كل واحد منهم جزء صغير (ابن حجر، 1415ه، ج1، ص166)، ونلحظ كذلك أن أكثر هؤلاء الصحابة قد أدركوا جزءا من هذا العصر وكان لهم أثرهم العلمي الكبير فيه، بل إن منهم من كان من خلفاء وولاة هذا العصر وهم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهما.

ولا شك أن لهذا الوجود الكبير لعلماء الصحابة وفقهائهم ورواتهم للأحاديث إضافة إلى العدد الكبير الآخر من صحابة رسول الله صلى الله وسلم الذين أدركوا هذا العصر الأثر الواضح في الحياة العلمية والتعليمية في العصر الأموي.

ولتوضيح غزارة علم الصحابة وأثرهم على الحركة العلمية وازدهارها يمكن الوقوف مع أحد علماء الصحابة وهو عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حيث يقول عبدالله بن عبدالله بن عتبة: "كان ابن عباس قد فاق الناس بخصال: بعلم ما سبقه، وفقه ما احتيج إليه من رأيه، وحلم وسيب ونائل. وما رأيت أحدًا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، ولا أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولا أعلم بما مضى ولا أثق رأيًا فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يومًا ما يذكر فيه الا الفقه، ويومًا التأويل، ويومًا المغازي، ويومًا الشعر، ويومًا أيام العرب. وما رأيت

عالمًا قط جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلًا قط سأله إلا وجد عنده علمًا" (ابن سعد،د.ت،ج2،ص368)

ويقول أبو صالح: "لقد رأيت من ابن عباس مجلسًا لو أن جميع قريش فخرت به لكان فخرًا. لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا أن يذهب. قال فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه قال: ضع لي وضوءًا. قال: فتوضأ وجلس وقال: اخرج لهم وقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل. قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر. ثم قال: إخوانكم فخرجوا. ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل. قال: فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم به، وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر. ثم قال: إخوانكم فخرجوا – ثم تكرر الفعل نفسه مع من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه، ثم من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها، ثم كان ذلك مع من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام – ". (أبو نعيم،1409ه،ج1،ص230)

ولا عجب في أن يكون لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدور في حفظ الدين وتعليمه للناس ونشره فإنهم أحرص الناس على تبليغ هذا الدين حيث اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونقل دينه ولذلك كانوا الأمنة لهذه الأمة بعد رسولها الكريم صلى الله عليه وسلم.

كما أن هذا العصر قد تشرف بوجود التابعين وهم خير الناس بعد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ إنه كما تربى الصحابة على عين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ربى هؤلاء الصحب الكرام رضوان الله عليهم التابعين على أعينهم فكان نتاج هذه التربية تلك الشخصيات الفذة من العلماء الأجلاء الذين ظهر فضلهم وبرز أثرهم في حياة الأمة الإسلامية. ولذلك فقد كان جل علماء هذا العصر من التابعين الذين كان لهم دورهم العظيم في إثراء الحياة العلمية والتعليمية في هذا العصر كما كان لهم إنتاجهم

العلمي الغزير الذي لا تزال الأمة تغترف من بحره الرقراق وتنهل من معينه العذب الزلال.

ثالثا: اتساع الدولة الإسلامية

لقد اتسعت الدولة الإسلامية في عصر الدولة الأموية اتساعاً كبيراً ودخل تحت حكمها العديد من الأقطار والبلدان المتعددة حيث كانت الفتوحات كبيرة في عهد الدولة الأموية امتدت معها ديار الإسلام من الصين شرقًا إلى الأندلس وجنوبي فرنسا غربًا (شاكر،1405ه،ص55 – 56)

ولا شك أن هذا الاتساع العظيم لحدود الدولة الإسلامية وكثرة رعاياها في أمصارهم المختلفة إضافة إلى خلفياتهم التي كانوا يعيشون فيها من الناحية الدينية والاجتماعية وغيرها أهميته في حرص الدولة الإسلامية على نشر العلم الشرعي الصحيح في تلك الأمصار، وقبل ذلك كله استشعار الدولة الإسلامية لأهمية نشر العلم الشرعي لجميع رعاياها وأنه حق لجميع المنتسبين لهذا الدين وهذه الأمة مهما نأت ديارهم وتباعدت أقطارهم وتعددت لغاتهم واختلفت ألوانهم وتباينت أجناسهم فدولة الإسلام دولة العلم والهداية.

كل ذلك جعل من نشر العلم الشرعي في الأقطار المختلفة أولوية من أولويات الدولة الإسلامية، حيث لم يكن هذا الاهتمام وليد هذا العصر بل إننا نرى بداياته الواضحة والتي كان لها أثرها على الحركة العلمية الضخمة في هذا العصر ما كان من تلك الخطوة الرائدة في عصر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عصره فقام رضي االله عنه بإرسال الصحابة الكرام إلى الأقطار المختلفة ليفقهوا أهلها وليعلموهم أمور دينهم وعلى سبيل المثال إرساله للصحابي الجليل عمران بن حصين (ت52هـ) إلى البصرة لتعليمهم وتفقيههم حيث «أنه كان عمر بعثه إلى أهل البصرة ليفقههم فكان الحسن يحلف: ما قدم عليهم البصرة خير لهم من عمران بن الحصين» (الذهبي،1406ه،ج2،ص508)، وهو أحد علماء الصحابة الذين أدركوا هذا العصر.

وقد استمر خلفاء هذا العصر على هذا النهج فهذا عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يبعث نافعاً مولى ابن عمر إلى أهل مصر يعلمهم السنن (الذهبي،1406ه،ج5، ص97)، كذلك فإن العديد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم استشعاراً لمسؤوليتهم ورسالتهم التي تحملوها قد انتشروا في الأمصار يعلمون أهلها ويفقهونهم في دينهم، فهذا الصحابي الجليل عبد الله بن عباس (ت68هـ) والذي أدرك هذا العصر يسكن مكة ويكون له فيها مدرسة خاصة متميزة، ويكون له أثره الكبير في الحركة العلمية في مكة حيث يقول عبدالملك بن أبحر: "إنما فقه أهل مكة حين نزل ابن عباس رضي الله عنهما بأظهرهم" (الفاكهي،1407 ه،ج2، ص340).كذلك فإن هناك أمصاراً أخرى بعيدة عن موطن الصحابة الأصلي في المدينة المنورة داخل الجزيرة وخارجها قد فخرت بسكنى الصحابة بها وإفادتها من علمهم وفضلهم في أرجاء العالم الإسلامي في العراق والشام ومصر واليمن وغيرها من بلاد الإسلام.

ولقد كان وجود الصحابة الكرام وانتشارهم في أمصار الدولة الإسلامية المختلفة سبباً رئيساً لنهضة علمية أنتجت الأعداد الضخمة من طلاب العلم الأفذاذ الذين كان لهم دورهم ومساهمتهم في الجانب العلمي في عصر الدولة الأموية كما سيمر لاحقًا في المدارس العلمية التي أقامها الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

كذلك فقد كان اتساع الدولة الإسلامية وكثرة رعاياها سبباً آخر في حدوث النهضة العلمية حيث إن كثيراً من أبناء هذه الأمصار من العرب وغيرهم كان لهم سابقتهم واجتهادهم في طلب العلم وبروزهم فيه، بل إن كثيراً من الأرقاء في فتوحات الدولة الإسلامية وأولادهم أصبحوا من كبار علمائها كما سيلحظ ذلك حين الحديث عن إتاحة طلب العلم والبروز فيه لكل مسلم. ويؤكد أحد المستشرقين المنصفين الجهد العلمي المبذول في كل مدينة يفتحها المسلمون بقوله: "والعرب (المسلمون) كانوا إذا ما استولوا على مدينة صرفوا همهم إلى إنشاء مسجد وإقامة مدرسة فيها، واذا ما كانت تلك المدينة كبيرة أسسوا فيها مدارس كثيرة" (لوبون،د.ت،45ص) وبذلك فقد كانت الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي أحد العوامل التي أسهمت في تشجيع الحركة العلمية في هذا العصر.

رابعا: المدارس العلمية للصحابة

كان لانتشار الصحابة رضوان الله عليهم في بلاد الإسلام وقيامهم بنشر العلم الشرعي في البلاد التي سكنوها أثراً واضحاً في الناحية العلمية والتعليمية إذ كان لكل منهم أصحابه (طلابهـ) الذين يأخذون عنه وينسبون إليه وتظهر عليهم آثار أستاذهم ومنهجه العلمي والعملي.

فهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه (ت32هـ) وإن كان لم يدرك هذا العصر إلا أنه ترك بصماته واضحة في مدرسته التي أقامها بالكوفة وكان له فيها طلابه الخاصون الملازمون له والذين أدركوا هذا العصر وكان لهم أثرهم فيه، فقد "كان أصحاب عبدالله (ابن مسعود) الذين يقرئون الناس القرآن ويعلمونهم السنة ويصدر الناس عن رأيهم ستة: علقمة والأسود ومسروق وعبيدة وأبو ميسرة بن شرحبيل والحارث بن قيس" (الذهبي،1406ه،ج4،ص57).

ولمعرفة مكانة طلاب عبدالله بن مسعود وغزارة علمهم نقف مع أحدهم وهو علقمة النخعي (ت65هـ) حيث يقول قابوس بن أبي ظبيان: "قلت لأبي: لأي شيء كنت تأتي علقمة وتدع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: أدركت ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسألون علقمة ويستفتونه" (الذهبي،1406ه،ج4،ص59).

وكذلك فإننا كثيراً ما نرى في وصف أحد علماء التابعين بأنه من أصحاب فلان من الصحابة الكرام، فهذا الإمام الزهري يقول عنه أبو حاتم: "أثبت أصحاب أنس الزهري" (الذهبي،1406ه،ج5،ص335)، وأنس بن مالك رضي الله عنه (ت93هـ) أحد علماء هذا العصر. وأما تلميذه الزهري فهو محمد بن شهاب (ت124هـ) الذي نعلم مبلغ علمه حين قيل لعراك بن مالك: "من أفقه أهل المدينة؟ قال: أما أعلمهم بقضايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضايا أبي بكر وعمر وعثمان وأفقههم فقهاً وأعلمهم بما مضى من أمر الناس فسعيد بن المسيب، وأما أغزرهم حديثاً فعروة، ولا تشاء أن تفجر من عبيد الله بن عبد الله بحراً إلا فجرته، وأعلمهم عندي جميعاً ابن شهاب فإنه جمع علمهم جميعاً إلى علمه" (الذهبي،1406ه، ج5،ص337).

أما حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما (ت68هـ) فقد كان له مدرسته الخاصة وطلابه المميزون، وأصحابه ستة هم: "مجاهد، وطاووس، وعطاء، وسعيد، وعكرمة، وجابر بن زيد (الذهبي، 1406ه، ج5، ص18)، وقد برز هؤلاء الطلاب في العلوم المتنوعة وحملوا علم شيخهم ومعلمهم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حتى كان ابن عباس يقول – على سبيل المثال – عن أحد تلاميذه وهو عطاء بن أبي رباح: "يا أهل مكة تجتمعون علي وعندكم عطاء" (الذهبي،1408ه،ص422)

وهكذا نجد أن لهذه المدارس العلمية التي أقامها الصحابة رضوان الله عليهم في الأمصار الإسلامية وعنايتهم بطلابهم الدور الكبير في تخريج أعداد ضخمة من العلماء الذين أثروا الحركة العلمية في هذا العصر.

خامسا: إتاحة طلب العلم والبروز فيه لكل أفراد المجتمع

إن من القواعد التي رسخها هذا الدين القويم أن جعل جميع المسلمين سواسية لا فرق بينهم إذ لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى كما جعل أكرم الناس عند الله أتقاهم. وإن هذا الجانب الذي دعا إليه الإسلام لم يكن مجرد دعوى نظرية يخالفها الواقع التطبيقي بل إننا نلحظ في هذا العصر كيف أن طلب العلم والتصدر فيه كان متاحاً لكل أحد حتى إن كثيراً من علماء هذا العصر الذين أثروا فيه وكان لهم مكانتهم وتوجيههم للعامة والخاصة هم من الموالي الذين طلبوا العلم ونبغوا فيه.

ولقد كان طلب العلم متاحاً لكل مسلم عربي أو أعجمي، حر أو عبد، ذكر أو أنثى، ولعل في الوقوف مع أمثلة من علماء هذا العصر من الموالي الذين طلبوا العلم فسادوا الأمة وتقدموها ما يوضح هذا الجانب. فهذا مكحول عالم أهل الشام (ت112هـ) كان أصله نوبياً وقيل من سبي كابل، وقيل أصله من هراة وكان مولى لامرأة هذلية فأعتقته (الذهبي،1406ه،ج5،ص157). يقول مكحول محدثاً عن نفسه: "عتقت بمصر فلم أدع بها علماً إلا احتويت عليه فيما أرى، ثم أتيت العراق فلم أدع بها علماً إلا احتويت عليه فيما أرى، ثم أتيت المدينة فلم أدع بها علماً إلا احتويت عليه، ثم أتيت الشام فغربلتها (الذهبي،1406ه،ج5،ص158). وحين بلغ مكحول هذه المنزلة

العلمية أصبح" إمام أهل الشام (الذهبي،1406ه،ج5،ص159) حيث لم ينقصه ما كان من أصله، بل ولا ما كان من وصفه فقد كان "رجلاً أعجمياً لا يستطيع أن يقول: قل فيقول: كل" (الذهبي،1406ه،ج5،ص159) ومع كل ذلك "فكل ما قال بالشام قبل منه" (الذهبي،1406ه،ج5،ص159) حيث بلغ هذه المكانة العلمية العالية وأصبح عالم أهل الشام وإماماً من كبار أئمة المسلمين وعلمائهم. ويؤكد مكانته العلمية الزهري بوصفه أحد العلماء الأربعة في عصره فيقول: "العلماء أربعة: سعيد المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن بالبصرة، ومكحول بالشام" (الذهبي،1406ه،ج5،ص158).

وهذا عطاء بن أبي رباح (ت115هـ) فقد كان مولى لبني فهر أو بني جمح وأبوه نوبي وكان يعمل المكاتل (الذهبي،1406ه،ج5،ص80)، وأما صفاته الجسدية فقد كان: أعور أشل أفطس أعرج أسود شديد السواد ليس في رأسه شعر إلا شعرات (الذهبي،1406ه،ج5، ص80)، ومع ذلك فقد "انتهت فتوى أهل مكة إليه "(الذهبي،1406ه،ج5،ص80)،" فما قال بالحجاز قبل منه" (الذهبي،1406 ه،ج5، ص83)، وقد بلغ من سعة علمه أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول: "يا أهل مكة تجتمعون عندي وعندكم عطاء" (الذهبي، 1408ه، ص422) وقد آلت الفتوى لعطاء بعد ابن عباس رضي الله عنهما فقد "كانت الحلقة في الفتيا لابن عباس، وبعد ابن عباس لعطاء بن أبي رباح" (أبو نعيم، 1409ه، ج3، ص311).

ولم تكن هذه المكانة للموالي الذين أعتقوا بل إن بعضهم بلغ مرتبة عالية في العلم والفضل وهم ما زالوا على رقهم فهذا عكرمة (ت105هـ) مولى ابن عباس يقول عن نفسه: "طلبت العلم أربعين سنة وكنت أفتي بالباب وابن عباس بالدار" (الذهبي،1406ه،ج5،ص144)، وكان يقول له ابن عباس: "انطلق فأفت الناس وأنا لك عون " (الذهبي،1406ه،ج 5،ص14). ومع ذلك فقد "مات ابن عباس وعكرمة عبد لم يعتق" (الذهبي،1406ه، ج5،ص15) ومع ذلك فقد وصل إلى هذه المكانة العلمية في إفتاء الناس وهي من أعلى الدرجات العلمية.

ويوضح المكانة العلمية التي بلغها الموالي هذه الحادثة التي ذكرها الزهري مع الخليفة عبدالملك بن مروان حيث يقول: "قال لي عبدالملك بن مروان: من أين قدمت؟ قلت: من

مكة، قال: من خلفت يسودها؟ قلت: عطاء، قال: أمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: ففيم سادهم؟ قلت: بالديانة والرواية، قال: إن أهل الديانة والرواية ينبغي أن يسودوا، فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاووس، قال: فمن العرب أو الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل، قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران، وهو من الموالي، قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن من الموالي، قال: فمن يسود أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من العرب، قال: ويلك فرجت عني والله ليسودن الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها، قلت: يا أمير المؤمنين إنما هو دين من حفظه ساد ومن ضيعه سقط" (الذهبي،1406ه،ج5،ص85 – 86)

وهذه الحادثة وإن كان فيها نكارة كما ذكر الذهبي وأنها قد تكون وقعت مع أحد أولاد عبدالملك إلا أنها تدل على المكانة التي بلغها العلماء من الموالي في بلاد الإسلام وتقدمهم وأن الأمر كما قال الزهري: إنما هو دين من حفظه ساد ومن ضيعه سقط. وإن صحت القصة فاستنكار الخليفة عبدالملك بن مروان إنما هو لأجل تقصير العرب في طلب العلم والتصدر فيه مع إقراره بأن أهل الديانة والرواية هم الذين ينبغي أن يسودوا عرباً كانوا أم عجماً.

كذلك لم يكن طلب العلم والتقدم فيه مقتصراً على الرجال بل نجد بروزاً علمياً لبعض النساء وتسابقاً على طلب العلم منهن. فمن عالمات هذا العصر أم الدرداء الصغرى(ت82هـ) التي كان يتتلمذ عليها العامة والخاصة فقد"كان عبدالملك بن مروان كثيراً ما يجلس إلى أم الدرداء في مؤخر المسجد بدمشق"(الذهبي،1406ه،ج4،ص279). ويوضح ابن كثير دور هذه التابعية العلمي في هذا العصر في ترجمتها بقوله: "تابعية عابدة عالمة فقهية، كان الرجال يقرؤن عليها ويتفقهون في الحائط الشمالي بجامع دمشق، وكان عبدالملك بن مروان يجلس في حلقتها مع المتفقهة يشتغل عليها وهو خليفة رضي الله عنها" (ابن كثير،1966م،ج8،ص47)

كذلك فقد قال الزهري: "قال لي القاسم بن محمد: أراك تحرص على الطلب، أفلا أدلك على وعائه؟ قلت: بلى، قال: عليك بعمرة بنت عبد الرحمن (ت106هـ) فإنها كانت في حَجْر عائشة، فأتيتها فوجدتها بحراً لا يُنْزف" (الذهبي،1406ه،ج5،ص347).

ونظراً لأن طلب العلم كان متاحاً لكل أحد ولم يكن خاصاً بفئة دون الأخرى، كما أن من نبغ فيه برز وتقدم وأذعن له الناس جميعاً العامة والخاصة فقد كان هذا العامل سبباً رئيساً في انتشار العلم وازدهار الحركة العلمية في هذا العصر.

سادسا: مشاركة الخلفاء والأمراء في الحياة العلمية

من الملحوظ في العصر الأموي الدور البارز للخلفاء والولاة والأمراء في الحركة العلمية ومشاركتهم فيها، ويمكن ملاحظة ذلك من جانبين:

1 – أن بعضهم كان من العلماء والفقهاء في عصرهم.

2 – مشاركتهم في الحلق العلمية وطلب العلم على أيدي علماء هذا العصر.

فأما الجانب الأول فنراه بوضوح في الصحابة من خلفاء وولاة هذا العصر فمعاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما أحد كتبة الوحي كما أنه يأتي في الطبقة الثانية لأكثر الصحابة فتوى. وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهما كذلك هو في الطبقة الثانية لأكثر الصحابة فتوى، كما أنه ممن أوكل إليهم عثمان رضي الله عنه نسخ المصاحف (الذهبي،1406ه، ج3،ص370).

كذلك فقد كان الخليفة عبد الملك بن مروان أحد علماء هذا العصر، يقول أبو الزناد: "فقهاء المدينة: سعيد بن المسيب وعبدالملك(بن مروان) وعروة وقبيصة بن ذؤيب" (الذهبي،1406ه،ج4،ص248)، ويقول نافع: "لقد رأيت المدينة وما بها شاب أشد تشميراً ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله من عبدالملك" (الذهبي،1406ه،ج4،ص248). بل إن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يقول: "إن لمروان ابناً فقيهاً فسلوه" (الذهبي، 1406ه، ج4، ص247). ويصف الشعبي (ت104هـ) وهو من كبار علماء هذا العصر مبلغ علم عبدالملك بن مروان فيقول: "ما جالست أحداً إلا وجدت لي عليه الفضل إلا عبدالملك" (الذهبي،1406ه،ج4،ص248). وفي رواية أخرى يقول الشعبي: "ما

جالست أحداً إلا وجدت لي عليه الفضل إلا عبدالملك بن مروان فإني ما ذاكرته حديثاً إلا زادني فيه، ولا شعراً إلا زادني فيه" (السيوطي،1418ه،ص191).

وأما الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز فهو من أبرز علماء هذا العصر، وهو الحافظ العلامة الذي كان إماما من أئمة الاجتهاد رحمة الله عليه (الذهبي،1406ه،ج5،ص114).

أما الجانب الثاني الذي يتعلق بالمشاركة العلمية للخلفاء والأمراء في الحلق العلمية وطلب العلم على أيدي علماء ذلك العصر فمن أمثلته ماورد سابقا من أن الخليفة عبدالملك بن مروان كان كثيراً ما يجلس إلى أم الدرداء الصغرى بمسجد دمشق، ومن صوره أن يزيد بن عبدالملك كان يأتي إلى مجلس مكحول ويجلس كغيره من الناس (الذهبي،1406ه،ج5،ص150).

وحضور الخلفاء ومشاركتهم في الحلق العلمية وطلبهم العلم على أيدي العلماء، ومشاركتهم قبل ذلك في العلم والتعليم والفتوى من العوامل المهمة جداً في هذا العصر التي كان لها دور كبير في إثراء الحركة العلمية وازدهارها.

سابعا: تكريم الخلفاء والأمراء للعلماء وتقريبهم

من جوانب التميز في هذا العصر المكانة العالية للعلماء، والتقدير الخاص لهم على مستوى الأمة بمجملها وعلى مستوى الخلفاء والولاة والأمراء بشكل خاص. وهناك مواقف متعددة في هذا العصر يتجلى فيها تقريب الخلفاء والأمراء للعلماء والتواضع لهم والسعي في قضاء حوائجهم وتنفيذ توجيهاتهم والحرص على استشارتهم والصدور عن آرائهم، والأمثلة في هذا الجانب كثيرة، ويمكن أن يشار إلى بعض هذه المواقف التي تجلي هذا الأمر.

فقد «دخل عطاء بن أبي رباح (ت115هـ) على عبدالملك وهو جالس على السرير وحوله الأشراف وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته، فلما بصر به عبدالملك قام إليه فسلم عليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال: يا أبا محمد: حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل

الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق دونهم بابك، فقال له: أفعل» (الذهبي،1406ه،ج5،ص84 – 85).

ومن الأمثلة على ذلك أنه «لما قدم عمر بن عبدالعزيز المدينة والياً فصلى الظهر دعا بعشرة: عروة وعبيدالله وسليمان بن يسار والقاسم وسالماً وخارجة وأبا بكر بن عبدالرحمن وأبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة وعبدالله بن عامر بن ربيعة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إني دعوتكم لأمر تؤجرون فيه ونكون فيه أعواناً على الحق، ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدى أو بلغكم عن عامل ظلامة، فأحرج بالله على من بلغه ذلك إلا أبلغني فجزوه خيراً وافترقوا» (الذهبي،1406ه،ج5،ص118).

ولقد كان لتقريب العلماء والصدور عن رأيهم الخير الكثير على حياة الأمة، فحين ولي سليمان بن عبدالملك قال لعمر بن عبدالعزيز: "يا أبا حفص إنا ولينا ما قد ترى ولم يكن لنا بتدبيره علم فما رأيت من مصلحة العامة فمر به، فكان من ذلك عزل عمال الحجاج وأقيمت الصلوات في أوقاتها بعد ما كانت أميتت عن وقتها مع أمور جليلة كان يسمع من عمر فيها، فقيل: إن سليمان حج فرأى الخلائق بالموقف فقال لعمر: أما ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم إلا الله قال: هؤلاء اليوم رعيتك وهم غداً خصماؤك، فبكى بكاء شديداً" (الذهبي،1406ه،ج5،ص125).

ويتضح الأثر العظيم لهذا التقريب للعلماء والأخذ بتوجيهاتهم في ذلك الموقف العظيم للعالم الجليل رجاء بن حيوة (ت112هـ) مع سليمان بن عبدالملك في استخلاف عمر بن عبدالعزيز وما كان لهذا الرأي من خير عظيم على الأمة كلها. حيث أن الخليفة سليمان بن عبدالملك استشار رجاء بن حيوة حين أحس بدنو أجله فقال: "من ترى لهذا الأمر؟ فقلت: اتق الله فإنك قادم على الله تعالى وسائلك عن هذا الأمر وما صنعت فيه، قال: فمن ترى؟ قلت: عمر بن عبدالعزيز، قال: كيف أصنع بعهد عبدالملك إلى الوليد وإلي في ابني عاتكة أيهما بقي، قلت: تجعله من بعده، قال: أصبت جئني بصحيفة، فأتيته فكتب عهد عمر ويزيد بن عبدالملك من بعد" (الذهبي،1406ه،ج5،ص123 – 124).

كذلك فإنه يلحظ أن تقدير الخلفاء للعلماء وحرصهم على إكرامهم وقضاء حوائجهم لم يقتصر على من كان يأتي إليهم ويقصدهم من العلماء، فقد كان هناك سعي في إكرام العلماء وإغنائهم حتى لا يشغلهم كسب العيش عن بذل العلم للناس. ومن الأمثلة على ذلك أنه "كتب عمر بن عبدالعزيز إلى والي حمص: انظروا إلى الذين نصبوا أنفسهم للفقه وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا فأعط كل رجل منهم مائة دينار" (الذهبي،1406ه،ج5،ص323).

ومن صور التكريم للعلماء في هذا العصر أن الأمراء كانوا يستنيبون العلماء مكانهم فقد كان مروان بن الحكم أميراً على المدينة وكان يستخلف أبا هريرة رضي الله عنه إذا غاب وكان أبو هريرة صاحب طرفه ودعابة يقول أبو رافع: "كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة فيركب حماراً ببرذعة وفي رأسه خلبة من ليف فيسير فيلقى الرجل فيقول: الطريق قد جاء الأمير" (الذهبي،1406ه،ج2،ص614)، ويقول ثعلبة القرظي: "أقبل أبو هريرة في السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال: أوسع الطريق للأمير" (الذهبي، 1406ه، ج2، ص614).

وقد كان لهذه المكانة العالية للعلماء عند الخلفاء والولاة والأمراء أثرها في التوجيه إلى الاهتمام والعناية بالعلم والعلماء في هذا العصر.

ثامنا: مكانة العلماء وتقديرهم في المجتمع

لم ينحصر تقدير العلماء في هذا العصر على الخلفاء والأمراء بل إن تقدير العلماء كان هو السمة الظاهرة للمجتمع المسلم الذي يعرف قدرهم ويحبهم ويجلهم لما يحملونه من علم شرعي إذ هم ورثة الأنبياء وحراس العقيدة الذين يبذلون أوقاتهم لنفع غيرهم في أمور دينهم ودنياهم، ويؤكد مكانة العلماء في المجتمع سؤال عبد الملك بن مروان للزهري عن علماء الأمصار بقوله عن كل مصر: من يسودهم؟ (الذهبي،1406ه،ج5،ص85) فالعلماء هم سادة الناس في مجتمعهم.

ولأنه لا مطمع دنيوي في محبة العلماء فقد كان حبهم صادقاً من المجتمع، وبالتالي فإن الناس لثقتهم بهم ينقادون لما يوجهونهم إليه، فهذا مكحول عالم أهل الشام (ت112هـ) كان يقال عنه: «فكل ما قال بالشام قبل منه» (الذهبي،1406ه،ج5،ص159).

وقد كان الناس يحيطون بالعلماء ويحرصون على ملازمتهم لطلب العلم في إقامتهم وسفرهم حتى أنه كان للعلماء مواكب تحيط بهم تماثل مواكب الخلفاء فقد «خرج معاوية حاجاً معه ابن عباس، فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم» (الذهبي،1406ه، ج3، ص351). ويلحظ هذا الالتفاف من طلبة العلم حول العلماء واجتماعهم عليهم في مواقف عديدة فقد «دخل أبو الزناد (ت130هـ) مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ومعه من الأتباع يعني طلبة العلم مثل ما مع السلطان» (الذهبي،1406ه،ج5،ص446).

ومن صور محبة المجتمع للعلماء في هذا العصر مسارعتهم في إعانتهم بما يحتاجونه، ومن ذلك تسابقهم في فكاك رقبة من كان مولى منهم «فقد كان زياد مولى ابن عياش مملوكاً وأعانه الناس على فكاك رقبته وتسارعوا في ذلك ففضل مال كثير فرده زياد إليهم بالحصص وكتبهم عنده فما زال يدعو لهم حتى مات» (الذهبي،1406ه،ج5،ص458).

وإذا كان من الطبيعي أن يلتفت الناس إلى العلماء ويسألونهم فيما يعنيهم من شؤون دينهم فإننا نلحظ في هذا العصر أمراً مهماً وهو قصد الناس العلماء لإعانتهم في شؤون دنياهم فقد نزل الزهري (ت124 هـ) «بماء فشكا إليه أهل الماء أن لنا ثماني عشرة امرأة عمرية أي: لهن أعمار ليس لهن خادم، فاستسلف ابن شهاب ثمانية عشر ألفاً وأخدم كل واحدة خادماً بألف»

(الذهبي،1406ه،ج5،ص340).

وإن المكانة العظيمة لهؤلاء العلماء في هذا المجتمع لتنبئ عن الدور الكبير الذي كان يقوم به هؤلاء العلماء في مجتمعهم ودورهم الفاعل فيه والذي انعكس في هذا التقدير والمحبة لهم من مجتمعهم، وكل ذلك ولا شك دافع رئيس في ازدهار الحركة العلمية وتطورها.

تاسعا: تشجيع الصحابة لطلابهم على التصدر العلمي

كان للصحابة الكرام دورهم العظيم في إعداد علماء هذا العصر وتهيئتهم للقيام بهذا الدور العظيم في حياة الأمة كما أنهم كانوا يدفعون طلابهم إلى التعليم والإفتاء في وجودهم رضوان الله عليهم.

فهذا حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما (ت68هـ) يجلي لنا هذا الدور من خلال تعامله مع طلاب مدرسته العلمية بمكة وهم: مجاهد وطاووس وعطاء وسعيد وعكرمة وجابر بن زيد، وذلك بتشجيعهم على التعليم والفتيا ودفعهم إلى ذلك وإعانتهم وتزكيتهم والرفع من شأنهم، بل والاستفادة العلمية منهم.

فقد كان ابن عباس يقول لأحد طلابه وهو عكرمة (ت105هـ): «انطلق فأفت الناس وأنا لك عون، قلت: لو أن هذا الناس مثلهم مرتين لأفتينهم، قال: انطلق فأفتهم فمن جاءك يسألك عما يعنيه فأفته، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته، فإنك تطرح عنك ثلثي مؤنة الناس» (الذهبي،1406ه،ج5،ص14 – 15).

ويلحظ أن ابن عباس رضي الله عنهما يدفع تلميذه ويشجعه على الفتيا ويقوي عزيمته بإعانته له متى ما احتاج إليه، بل ويعينه بإعطائه قاعدة مهمة في التعامل مع استفتاءات الناس. وبقدر ما تعجب من هذا الأسلوب التربوي الفذ الذي سلكه ابن عباس مع تلميذه فإنك تعجب أشد العجب أنه إضافة إلى البناء العلمي الراسخ الذي قدمه لطلابه فإنه رباهم على الثقة النفسية العالية التي تتجلى في قول عكرمة: لو أن هذا الناس مثلهم مرتين لأفتيتهم.

وفي موقف آخر للصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما نجده يشجع أحد طلابه على أن يقوم بالتعليم والتحديث فهو يقول لسعيد بن جبير: «حدث: فقال: أحدث وأنت هاهنا؟ فقال: أوليس من نعمة الله عليك أن تتحدث وأنا أشاهد فإن أصبت فذاك، وإن أخطأت علمتك» (ابن سعد،د.ت،ج6،ص256). وهنا يقوم ابن عباس رضي الله عنهما بدور المشرف والموجه لطلابه أثناء قيامهم بعملية التعليم.

وهذا ابن عباس رضي الله عنهما يعلي من شأن طلابه ويضعهم في مكان الصدارة العلمية فهو يقول بشأن تلميذه عطاء بن أبي رباح (ت115هـ): «يا أهل مكة تجتمعون علي وعندكم عطاء» (الذهبي،1406ه،ج5،ص81). وكذلك فقد كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يسألونه يقول: "تسألوني وفيكم ابن أم دهماء (سعيد بن جبير)" (ابن سعد، د.ت، ج6،ص258). وفي هذين الموقفين يقدم ابن عباس درساً تربوياً عظيماً – وهو الحبر البحر ترجمان القرآن – في التواضع، وفي رفع مكانة طلابه ودفعهم للتصدر.

ومن أمثلة رفع ابن عباس رضي الله عنهما لشأن طلابه أخذه عنهم وتشجيعهم مادياً ومعنوياً، فعن عكرمة قال: "قرأ ابن عباس هذه الآية ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً﴾ (الأعراف:164) قال ابن عباس: لم أدر أنجا القوم أم هلكوا؟ قال: فما زلت أبين له أبصره حتى عرف أنهم نجوا، قال: فكساني حلة» (الذهبي،1406ه،ج5،ص16).

ولقد كان هذا البناء العلمي الراسخ والثقة النفسية العالية التي غرسها الصحابة الكرام في نفوس طلابهم من العوامل التي أسهمت في دفع الحركة العلمية في هذا العصر.

عاشراً: ترفع العلماء وسمو أنفسهم

مع ما كان للعلماء في هذا المجتمع من المكانة العالية، ومن سعي من فئاته حكاماً ومحكومين إلى خدمتهم وقضاء حوائجهم إلا أن صيانتهم لهذا العلم جعلتهم يزهدون فيما عند الناس لأنهم يريدون ما عند الله تعالى.

وقد «دخل عطاء بن أبي رباح (ت115هـ) على عبدالملك وهو جالس على السرير وحوله الأشراف وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما أبصر به عبدالملك قام إليه فسلم عليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال: يا أبا محمد حاجتك ؟ قال: يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق دونهم بابك، فقال له: أفعل، ثم نهض وقام، فقبض عليه عبدالملك وقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حوائج غيرك وقد قضيناها، فما حاجتك؟ قال: مالي إلى مخلوق حاجة ثم خرج، فقال عبدالملك: هذا وأبيك الشرف، هذا وأبيك السؤدد» (الذهبي،1406ه،ج5،ص84 – 85). ويمثل هذا الموقف ما كان لسمو نفس عطاء بن أبي رباح واستغنائه عما في أيدي الخلق من رفع لشأن هذا العالم جعلت عبدالملك بن مروان يكبر هذا فيه السلوك فيقول: هذا وأبيك الشرف، هذا وأبيك السؤدد.

ومن صور استغناء علماء هذا العصر ما كان من طاووس بن كيسان (ت106هـ) حين قال له عمر بن عبدالعزيز: «ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين – يعني سليمان بن عبدالملك – قال:» مالي إليه حاجة، فكأن عمر عجب من ذلك» (الذهبي،1416ه،ج5،ص41).

واستغناء العلماء عن الناس حتى لا يكون لأحد يد عليهم وبالتالي يكون الناس جميعاً عندهم سواسية غنيهم وفقيرهم، شريفهم ووضيعهم، وهذا يتضح في قول سفيان: «حلف لنا إبراهيم بن ميسرة وهو مستقبل الكعبة: ورب هذه البنية ما رأيت أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلة إلا طاووساً» (الذهبي،1416ه،ج5،ص41)

وحين ننظر لآثار استغناء العلماء عن الناس في الجانب التعليمي نلحظ ذلك في استقلالية العلماء وصيانتهم لمجالس العلم من الطبقية أو الخصوصية لأحد على الآخر مهما كانت منزلته الاجتماعية إذ مجالس العلم لجميع الناس وهم فيها سواء فقد «جاء ابن لسليمان بن عبدالملك فجلس إلى جنب طاووس فلم يلتفت إليه فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين، فلم تلتفت إليه قال: أردت أن يعلم أن لله عباداً يزهدون فيما بين يديه» (الذهبي،1416ه،ج5،ص42). ويقول ابن جابر: «أقبل يزيد بن عبد الملك إلى مجلس مكحول، فهممنا أن نوسع له، فقال: دعوة يتعلم التواضع» (الذهبي،1406ه،ج5،ص150).

كما أن هذا استغناء العلماء وترفعهم وصيانتهم للعلم يجعلهم لا يتخذون العلم سبيلاً لإرضاء الناس بل يقولون بالحق وما دل عليه الدليل في أي موقف ومع كل أحد فقد «دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبدالملك فقال: يا سليمان من الذي تولى كبره منهم؟ قال: عبدالله بن أبي بن سلول، قال: كذبت هو علي، فدخل ابن شهاب فسأله هشام فقال: هو عبدالله بن أبي، قال: كذبت هو علي، فقال: أنا أكذب لا أبا لك، فوالله لو نادى منادي من السماء إن الله أحل الكذب ما كذبت، حدثني سعيد وعروة وعبيد وعلقمة بن وقاص عن عائشة أن الذي تولى كبره عبدالله بن أبي» (الذهبي،1416ه،ج5،ص339). ويتضح هنا صيانة العلماء للعلم عن أن يكون مجالاً لإرضاء أشخاص أو توجهات، وفي هذا تتضح مزية خاصة في الجانب العلمي والتعليمي في هذا العصر.

بل إن أصحاب اليسار من العلماء كانوا يفقهون الناس ويقدمون لهم كذلك الهدايا والهبات فعن عقيل بن خالد أن»ابن شهاب كان يخرج إلى الأعراب يفقههم فجاء أعرابي وقد نفد ما بيده فمد الزهري يده إلى عمامتي فأخذها فأعطاه، وقال: يا عقيل أعطيك خيراً منها» (الذهبي،1416ه،ج5،ص341).

حادي عشر: وجود الشخصيات الموسوعية والتخصصية من العلماء

من العوامل المهمة التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في هذا العصر وجود العلماء الموسوعيين الذين وفقهم الله سبحانه وتعالى لاستيعاب العلوم المتنوعة. ومن هؤلاء العلماء الموسوعيين الإمام الزهري (ت124هـ) فقد سئل أحد علماء ذلك العصر وهو عراك بن مالك عن أفقه أهل المدينة فقال: "أما أعلمهم بقضايا رسول الله عليه وسلم وقضايا أبي بكر وعمر وعثمان وأفقههم فقهاً وأعلمهم بما مضى من أمر الناس فسعيد بن المسيب، وأما أغزرهم حديثاً فعروة، ولا تشاء أن تفجر من عبيدالله بن عبدالله بحراً إلا فجرته، وأعلمهم عندي جميعاً ابن شهاب فإنه جمع علمهم جميعاً إلى علمه" (الذهبي،1406ه،ج5،ص337).

ومما تميز به هؤلاء العلماء الموسوعيين في هذا العصر هو أنه إضافة إلى غزارة علمهم وإجادتهم للفنون المتعددة فإنهم يتقنون كل فن منها كأنما هو تخصصهم الوحيد، فقد ورد ذلك في وصف الزهري حيث يقول الليث بن سعد: "ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب (الزهري) يحدث في الترغيب والترهيب فتقول لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه" (الذهبي،1406،ج5،ص328).

ولذلك فقد كان هؤلاء العلماء الموسوعيين يقصدهم طلاب العلم على اختلاف ميولهم وتخصصاتهم في شتى العلوم المتنوعة فيأخذ كل منهم ما يريد ويسأل عن العلم الذي يحتاجه فهذا أبو الزناد (ت130هـ) "يدخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ومعه من الأتباع يعني طلبة العلم مثل ما مع السلطان، فمن سائل عن فريضة، ومن سائل عن الحساب، ومن سائل عن الشعر، ومن سائل عن الحديث، ومن سائل عن معضلة" (الذهبي،1406ه، ج5،ص446 – 447).

ومن أعظم العلماء الموسوعيين في هذا العصر الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حيث يقول عبدالله بن عبدالله بن عتبة: "كان ابن عباس قد فاق الناس بخصال: بعلم ما سبقه، وفقه ما احتيج إليه من رأيه، وحلم وسيب ونائل. وما رأيت أحدًا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، ولا أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولا أعلم بما مضى ولا أثق رأيًا فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يومًا ما يذكر فيه الا الفقه، ويومًا التأويل، ويومًا المغازي، ويومًا الشعر، ويومًا أيام العرب. وما رأيت عالمًا قط جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلًا قط سأله إلا وجد عنده علمًا" (ابن سعد، د.ت،ج2، ص368).

ومع وجود هذه الشخصيات الموسوعية فإننا نجد شخصيات أخرى تخصصية أبدعت في فروع علمية محددة فكان لها تميزها وتفردها في هذه التخصصات، ونرى هذا الجانب العلمي التخصصي الدقيق في قول قتادة: «أعلم التابعين أربعة: كان عطاء (ت115هـ) أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير (ت95 هـ) أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة (ت 105هـ) أعلمهم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الحسن (ت110هـ) أعلمهم بالحلال والحرام» (الذهبي،1406ه،ج5،ص17).

ويؤكد هذه التخصصية العلمية أبو حازم حيث يقول: «ما أدركت أحداً أعلم بالحج من عطاء» (الذهبي،1406ه،ج5، ص81)، في حين يقول سفيان: «الوجه الذي عليه فيه عكرمة المغازي، إذا تكلم فسمعه إنسان قال: كأنه مشرف عليهم يراهم» (الذهبي،1406ه، ج5، ص16)، فهو من شدة إتقانه لهذا العلم ودقائقه الجليلة كأنه وهو يتكلم في المغازي ينظر إليها رأي العين.

ومن صور التخصصية العلمية أن قتادة (ت118 هـ) «كان رأساً في العربية والغريب وأيام العرب وأنسابها» (الذهبي،1406ه،ج5،ص277)، ولتخصصه في العربية فقد غدا مرجعاً عند الاختلاف، يقول القفطي: «إن الرجلين من بني أمية يختلفان في البيت من الشعر فيبردان بريداً إلى العراق يسألان قتادة عنه» (الذهبي،1406ه،ج5،ص278).

ولا شك أن هذا الإبداع والتميز العلمي في هذا العصر بوجود هذه الموسوعات العلمية التي تجيد الفنون العلمية المتنوعة وتتقنها، إضافة إلى وجود أولئك العلماء المتخصصين تخصصاً دقيقاً في علوم بعينها بل وفروع محددة من تلك العلوم قد أثرى الحركة العلمية والتعليمية في هذا العصر.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج هي:

1 – أهمية العصر الأموي في التربية الإسلامية تكمن في قربه من العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، ودخول هذا العصر في القرون المفضلة التي أشاد بها النبي صلى الله عليه وسلم، وتوافر الصحابة الكرام في هذا العصر.

2 – من أبرز العوامل التي أسهمت في ازدهار الحركة العلمية في العصر الأموي ما يلي:

أ – المكانة العظيمة للعلم والعلماء في الدين الإسلامي، وما تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية من حث على العلم، والوعد بالأجر العظيم للعالمين والمعلمين والمتعلمين.

ب – تشرف هذا العصر بعلماء الصحابة وكبار التابعين حيث زخر بهم هذا العصر وأفاد من فضلهم وغزارة علومهم، فكان لهم دور كبير في نشر العلم في العصر الأموي وازدهار الحركة العلمية فيه.

ج – اتساع الدولة الإسلامية وتوسعها بشكل كبير جداً ووصولها إلى أقطار متعددة ترتب عليه نشر الدولة الأموية للعلم والتعليم في هذه الأقطار استشعاراً لمسؤوليتها تجاه رعاياها.

د – المدارس العلمية لعدد من الصحابة مثل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة والتي تميزت بغزارتها العلمية وتنوع تخصصاتها وأسلوب التدريس فيها وبطلابها المتميزين كان لها دورها الكبير في إثراء الحركة العلمية في هذا العصر.

ه – يتضح في هذا العصر البروز العلمي للموالي والأرقاء بحيث أصبحوا من أبرز العلماء فيه، وذلك لإتاحة الفرصة للجميع بلا استثناء لطلب العلم والبروز فيه حيث كانت الرئاسة العلمية لكل من أبدع في العلم والمعرفة دون أي اعتبار آخر.

و – مشاركة الخلفاء والولاة والأمراء في الحياة العلمية كان لها دور واضح في تشجيع الحركة العلمية في هذا العصر حيث كان بعضهم من علماء هذا العصر، كما كان لآخرين منهم مشاركتهم في التعليم والتتلمذ على علماء هذا العصر.

ز – تكريم الخلفاء والولاة والأمراء للعلماء وتقريبهم وإعلاء مكانتهم والصدور عن رأيهم كان له دوره في إعلاء مكانة العلم والعلماء، مما انعكس أثره على ازدهار الحركة العلمية في هذا العصر.

ح – المكانة السامية للعلماء في المجتمع في العصر الأموي ومحبتهم وتقديرهم والرجوع إليهم في الجوانب المختلفة من أفراد المجتمع أسهم في تعزيز مكانتهم وأدوارهم المجتمعية وبخاصة في الميدان العلمي والتعليمي.

ط – الدور الكبير للصحابة الكرام رضوان الله عليهم في دفع طلابهم وتشجيعهم على البروز والتصدر العلمي في حضرتهم وفي حياتهم حتى يتأكدوا من بناء طلابهم العلمي الرصين، وحتى تتواصل العملية العلمية بكل توهج وقوة بعد مماتهم عن طريق هؤلاء العلماء الذين تربوا على أيديهم.

ي – ما قدمه علماء هذا العصر من قدوة عملية تتمثل في ترفعهم عن المطامع الدنيوية، وسمو أنفسهم وعزتهم، وعدم تكسبهم بعلمهم، والذي انعكس على علو مكانتهم ومحبتهم والتعلق الشديد بهم وبما يحملونه من علم، مما كان له أثره الواضح على الجانب العلمي في هذا العصر.

ك – احتواء هذا العصر على العديد من الشخصيات العلمية الموسوعية من علماء الصحابة والتابعين الذين تميزوا بثراء علمي متميز في الميادين والمجالات العلمية والمعرفية المتعددة، بالإضافة إلى الشخصيات العلمية المتخصصة في علوم بعينها بل وبفروع من هذه العلوم، حيث أسهم وجود هذه الشخصيات العلمية في الإثراء العلمي للعصر الأموي.

المراجع:

1. أبو داود، سليمان بن الأشعث (د.ت). سنن أبي داود (تحقيق محي الدين عبدالحميد). المكتبة العصرية.
2. أبو نعيم، أحمد بن عبدالله (1409هـ). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ط5). دار الكتب العلمية.
3. البخاري، محمد بن إسماعيل (1417هـ). صحيح البخاري. دار السلام.
4. ابن الجوزي، جمال الدين عبدالرحمن (1997م). تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير. دار الأرقم بن أبي الأرقم.
5. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (1415هـ). الإصابة في تمييز الصحابة. دار الكتب العلمية.
6. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (1418هـ). فتح الباري (ط2). دار الكتب العلمية.
7. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (1406هـ). سير أعلام النبلاء (ط4). دار الرسالة.
8. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (1408هـ). تاريخ الإسلام (تحقيق عبد السلام تدمري). دار الكتاب العربي.
9. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (د.ت). الطبقات الكبرى. دار صادر.
10. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (1418هـ). تاريخ الخلفاء (ط3). دار المعرفة.
11. شاكر، محمود (1405هـ). التاريخ الإسلامي – العهد الأموي (ط2). المكتب الإسلامي.
12. الفاكهي، محمد بن إسحاق (1407هـ). أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه (تحقيق عبدالملك بن دهيش). مكتبة النهضة الحديثة.

13. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (1966م). البداية والنهاية. مكتبة المعارف.

14. الكيلاني، محمد عرسان (1995م). مسيرة التعليم الإسلامي في الجامع الأموي خلال العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

15. لوبون، جوستاف (د.ت). حضارة العرب (ترجمة عادل زعيتر). دار كتاب.

16. ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد (1420هـ). سنن ابن ماجة. دار السلام.

17. مسلم، ابن الحجاج النيسابوري (1419هـ). صحيح مسلم. بيت الأفكار الدولية.

18. النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى (1418هـ). شرح صحيح مسلم (ط4). دار المعرفة.

19. الهلابي، عبدالعزيز بن صالح (1993أ). الحركة العلمية بمكة في العصر الأموي. بحث منشور، مجلة الدارة، دارة الملك عبدالعزيز 19(3)، 10 – 58

20. الهلابي، عبدالعزيز بن صالح (1994ب). الحركة العلمية بمكة في العصر الأموي. بحث منشور، مجلة الدارة، دارة الملك عبدالعزيز، 19(4)، 58 – 74.

21. الوافي، سمية بنت محمد فرج (1428هـ). التعليم في الشام في العصر الأموي. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.